الفصل الأول
وصف الرحالة
لوادي النطرون

الفصل الأول

وصف الرحالة لوادي النطرون

وادي النطرون ليس مجرد اسم لمنطقة جغرافية على أرض مصر، ولكن لمنطقة تلبس ثوب التاريخ وتتشح برداء الدين وتنطق بجمال الطبيعة، ولهذا كله كان وادي النطرون وما زال مقصدًا للرحالة، الذين جابوا خلاله وتوغلوا في صحرائه، واستطاعوا أن يصفوا الكثير من أحواله الجغرافية والطبوغرافية ومساحته ومناخه والمسميات الى أُطلقت عليه، وأهميته، وصفًا مسهبًا ومفصلًا، وهذا ما سوف نتعرض له في هذا الفصل.

موقع وادي النطرون

عادةً لا يكاد الناس يعرفون من أرض مصر إلا واديها الذي يرويه النهر، ومع ذلك فهناك من الاعتبارات الجغرافية والحكايات التي يرويها الرحالة والمؤرخون والمحدثون ما يدفع على الاعتقاد بأن مياهًا كانت قد اقتحمت في أزمنة ضاربة في القدم أعماق صحارى مصر الغربية، وأنها تركت هناك آثارًا لمجراها.

فوادي النطرون أحد المنخفضات التي تقع في الصحراء الغربية من مصر والتي تضم الواحات الخارجة والداخلة في الجنوب ثم الواحات البحرية والفرافرة في الوسط ثم منخفض وادي النطرون [1] والقطارة وواحة سيوة في الشمال. وتقع هذه المنخفضات فوق مستوى سطح البحر عكس وادي النطرون ومنخفض القطارة، حيث يهبط الوادي عن سطح البحر بنحو

---

(١) منخفض وادي النطرون: هو منخفض مغلق له بداية ونهاية، وليس له منبع أو مصدر أو روافد، لمزيد من التفصيل انظر: جمال حمدان، شخصية مصر، ج١، دار الهلال، القاهرة ١٩٩٤م، ص٤١٦، انظر الشكل رقم ١، ٢.

ثلاثة وعشرين مترًا [١]. فوادي النطرون هو الاسم الشائع للمنخفض الصحراوي الذي تحده شمالًا بحيرة مريوط، وجنوبًا الفيوم، وشرقًا الدلتا [٢]، ومن الغرب الصحراء الليبية[٣].

ويبعد المنخفض من طرفه الشمالي الغربي عن الإسكندرية بنحو ٧٥كم، ومن طرفه الجنوبي الشرقي عن القاهرة ٧٤كم، ويبعد بنحو ٧٣كم عن قرية البريجات[٤]. وهو أقصى بعد للمنخفض عن الدلتا من الجنوب فهو ٣١كم[٥]. جنوب الخطاطبة[٦]. وبهذا ينحصر منخفض وادي النطرون فلكيًا ما بين خط عرض ١٧ °, ٣٠، ٣٨ °, ٣٠ شمالًا وبين خط طول ٢٠ °, ٣٠ °. ٣٠ °، ٣٠ °شرقًا[٧].

الوصف الطبوغرافي لوادي النطرون

وقد اهتم بعض الرحالة بوصف الطبيعة الجغرافية للوادي فذكر عمر طوسون أنه يتخذ شكلًا منخفضًا مستطيلًا في اتجاه شمالي غربي، وجنوبي شرقي[٨]، وأكد الرحالة الفرنسي أندرياسي

---

(١) محمد علي سيف: وادي النطرون دراسة في الجغرافيا الإقليمية، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب، قسم الجغرافيا، جامعة القاهرة سنة ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م، ص٧.

(٢) ابن الوزان الزياتي: وصف إفريقيا، ترجمة عبد الرحمن حميدة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٥م، ص ٥١٧-٥٢٩، انظر الشكل رقم ١، ٢.

(3) Walker .H: the Anglo- American guide to Alexandria, Anglo-American Guides 3 (Cairo: Amalga - ated Press, (1935): 190–195; Hugh Gerard, white, Evelyn, the Monasteries of The Wadi Natrun, pt 3. London, 1973, 3,Figs. 1, 2.

انظر الشكل رقم 1، 2.

(٤) البريجات: أصلها من توابع ناحية الطرانة، ثم فصلت عنها في تربيع سنة ٩٣٣هـ/ ١٥٢٦م، كما ورد في دليل ١٢٢٤هـ/ ١٨٠٩م، انظر: محمد رمزي القاموس الجغرافي، ق٢، ج٢، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٤، ص٣٤١.

(٥) محمود على سيف: المرجع السابق، ص١٣؛ جمال حمدان، المرجع السابق، ص٢٩٧.

(٦) الخطاطبة: أصلها من توابع ناحية أبو نشاية، ثم فصلت عنها تأريخ سنة ١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م، وتسميها العامة فم الخطاطبة، لوقوعها على قسم ترعة الخطاطبة المنسوبة إليها، انظر: محمد رمزي، المرجع السابق، ق٢، ج٢، ص٣٤١.

(٧) محمود على سيف: المرجع السابق، ص١٣، انظر الشكل رقم ١، ٢.

(٨) عمر طوسون: وادي النطرون ورهبانه وأديرته ومختصر تاريخ البطاركة، ط٢، مكتبة مدبولى، القاهرة ١٩٩٦م، ص٥.

Andreassy موازاته للهضبة التي تفصله عن وادي النيل، وهي فسيحة يتدرج سطحها ببطء، وتوازي النيل على الدوام، ويبلغ عرضها ثلاثين ميلًا، وتغطي أرضها الرمال والحصى من مختلف الأحجام وبزلط صغير مستدير متعدد الأشكال والألوان. وقد دفعت الرياح القوية القادمة من جهة الغرب، إلى الجهة الآخرى من التلال التي تحفُّ بالنيل، وكذلك إلى داخل الوادي، كل الرمال متحركة، ويبدو الحجر الجيرى في بعض المناطق على سطح الأرض. وفيما عدا ذلك،فإن المرء لا يلمح في هذه الصحراء التي قد يظن المرء بأن الطبيعة قد تركتها نسيًا منسيًّا، إلا ثلاثة أنواع أو أربعة من النباتات الضعيفة والصغيرة والمبعثرة للغاية، مثل النباتات الشوكية، والبنج البنفسجى أو الداتورة [١]. ويواصل أندرياسي وصفه وبالطبع سوف يكون من العسير أن يستطيع أي كائن حي أن يجد ما يعيش عليه،فوق أرض على مثل هذه الدرجة من القحولة، وفي نفس الوقت فإننا لم نجد هناك سوى نوع واحد من الحشرات، ليس من الأنواع الشائعة ويطلق عليه اسم Mnete obscure، والصفة التي تحملها هذه الحشرة صفة «العتمة»، تماثل تمامًا حالة العزلة التي تحياها في أعماق مثل هذه الصحارى[٢]، ويبلغ طول المنخفض ٦٠ كيلومترًا وطول البحيرات بداخله ٣٠كم ومتوسط عرضه عشرة كيلومترات[٣].

ويصف لنا الرحالة أندرياسي الطريق لوادي النطرون فذكر قائلًا: عند الرحيل من الطرانة، يتخذ الطريق اتجاهه في البداية من الشرق إلى الغرب، وقبل الوصول إلى النطرون بنحو الساعتين، وبعد أن يكون المسافر قد اجتاز ممرًّا جبليًّا بالغ الانخفاض، يسميه الناس رأس البقرة، يمضي الطريق نحو الشمال الغربي، مع ميل أكبر إلى جهة الغرب، وعندما هبطنا، وجدنا في منتصف هذا الجنب، وفوق ربوة، قصرًا أو حصنًا مهدمًا، بنى سوره المربع والذي تعلوه أبواب مستديرة عند اثنتين من زواياه، بواسطة قطع صغيرة من النطرون، مما يدل على

---

(١) تأليف علماء الحملة الفرنسية: العرب في ريف مصر وصحاريها، وصف مصر، ج٢، ترجمة زهير الشايب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٢، ص٤٥.

(٢) نفسه: ص٤٦.

(٣) فولني: ثلاثة أعوام في مصر وبر الشام، ترجمة إدوارد البستاني، ج١، ط٢، بيروت ١٩٤٩، ص ١٩٩-٢٠٠؛ انظر الشكل رقم ١، ٢.

أن الأمطار ليست بذات بال في هذه المنطقة، كما رأينا في الانحدار المقابل دير براموس أو دير الأرمن[١]، كما يوجد إلى الشمال وعلى نفس المسافة تقريبًا دير السريان أو دير الأنبا بيشوي حيث بجاور كل منهما الآخر[٢].

أقمنا مثلثا يربط القصر ودير البراموس ودير السريان، وإذا ما اتخذنا كقاعدة، تلك المسافة التي تفصل بين القصر ودير البراموس، والتي قمنا بقياسها فوجدناها تبلغ (٤\٣ ٧٢٣١٢) مترًا فإن ضلعي المثلث الآخرين يبلغان(٣\٢ ٧٤٣٠) مترًا للمسافة بين القصر ودير السريان، و(٤\١ ٩٢٥٨) مترًا للمسافة بين هذا الدير ودير البراموس، واذا أردنا الذهاب بين واحد من هذه الأماكن وبين غيره يكون علينا أن نجتاز طريقًا هو عبارة عن رمال متحركة أو ثابتة في بعض الأحيان بفضل بعض الطحالب النباتية، ويلمح المرء هناك بعض النباتات، ويقابل في كل مكان الجبس وكتل الصخور الجيرية، كما يرى أجمل الأحجار الطباشرية بين دير البراموس ودير السريان.

واشتهر الوادي ببحيراته التي وصفها الرحالة فولني فذكر عددها ما بين ست بحيرات وعشر[٣]، الا أن أهالي الطرانة[٤] يذكرون أن عددها سبع بحيرات[٥] ويحمل بعضها أسماء ألوان مختلفة كالحمرة أو مريم، والخضرة، والبيضة ومن أسمائها الجهاز، والزجم، وأم ريشة والفاسدة

---

(١) نفسه: ص٤٦. انظر الشكل رقم٨.

(٢) نفسه: ص٤٦. انظر الشكل رقم٦.

(٣)عبد اللطيف واكد، حسن مرعي: واحات مصر: جزر الرحمة وجنات الصحراء، القاهرة١٩٥٧، ص٤٢٢، انظر الشكل رقم ٣.

(٤) الطرانة: هي من القرى القديمة، ذكرها جوتيه في قاموسه فقال: إن اسمها المصري Per Rannout والرومي térénouthis وذكر أميلينو في جغرافيته أن اسمها القبطي Ternaut ومنه اسمها العربي، ووردت باسم ترنوط، في كتاب المسالك لابن خردازبه، وفي الروك الصلاحي وردت باسم الطرانة، كما وردت في قوانين ابن مماتي، وفي تحفة الإرشاد من أعمال حوف رمسيس، وفي التحفة من أعمال البحيرة، انظر: محمد رمزي، المرجع السابق، مج٢، ج٢، القاهرة١٩٩٤، ص٣٣١-٣٣٢. انظر ملحق (١).

(٥) علماء الحملة الفرنسية: وصف مصر: العرب في ريف مصر وصحاريها، المرجع السابق، ص٤٧.

[1] وعمقها لا يزيد على المترين، ومجموع مساحاتها معًا يناهز عشرة كيلومترات مربعة[2] وقدم لنا فولني وصفًا دقيقًا لهذه البحيرات فقال: تقع غربي الدلتا، وقاعها عبارة عن حفرة يتراوح طولها من ثلاثة فراسخ إلى أربعة وأرضها صلبة حجرية جافة طوال تسعة أشهر، وفي الشتاء ينبع من الأرض ماء لونه أحمر بنفسجي يملأ البحيرة بارتفاع عشر أقدام وبعد الفيضان تتبخر المياه فتترسب طبقة سميكة من الملح الصلب ويستخرج منها حوالي ٣٦ ألف قنطار نطرون سنويًا[3] وأكد جرانجيه وسونيبني أن الملح في هذه البحيرات في فصل الصيف يكون جافًا بفضل حرارة الشمس فيسمح بسير الجمال عليه[4]، وحسب وصف علماء الحملة الفرنسية توجد المياه العذبة- وإن كانت درجة صلاحيتها تتفاوت - إذا ما حفرنا بطول البحيرات باتجاه نهر النيل[5] فعين الماء العذب في بحيرة الحمراء وهي البحيرة رقم ٤ من جهة الشمال الغربي، وما يثير الدهشة في هذه البحيرة أن في وسطها ينبثق نبع مياه عذبة تمامًا يسمي نبع مريم، ومياه هذا النبع معدنية صالحة للشرب، رغم ما يحيط بها من ماء بحيرة النطرون الذي لا يصلح للشرب مطلقًا، ولكن له خصائصه العلاجية وتحديدًا للأمراض الجلدية. وهذه العين يُطلق عليها أحيانًا أهل الوادي من العرب والبدو عين «مريم « لأنه تفجر في أثناء عبور السيدة مريم وابنها يسوع خلال رحلتهم الى مصر، ومن هنا اكتسبت المنطقة قيمتها التاريخية والدينية [6].

---

(١) وهناك أسماء بحيرات أخرى منها: الجعار، الزجم، وأبوجبارا، الرازونية، أم ريشة، الفاسدة، لمزيد من التفصيل انظر: محمود على سيف، ص٢٠٠-٢٤٠؛ انظر الشكل رقم ٣.

(٢)على مبارك: الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، مج١٧، القاهرة ١٨٨٨، ص٤٢٠، جمال حمدان، المرجع السابق، ص٤٢٠.

(٣) فولني: المرجع السابق، ص ١٩٩-٢٠٠.

(٤) إلهام محمد علي ذهني: مصر في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين في القرن الثامن عش، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٢، ص ٢٣٤- ٢٣٥.

(٥) أندريوسي: المرجع السابق، ص٤٧.

(٦) هاجر صلاح: «نبع الحمراء.. كنز مجهول في جوف وادى النطرون، جريدة الأهرام، عدد ٤٦٦١٠، بتاريخ ٢٠ رمضان ١٤٣٥ه/ ١٨ يوليو ٢٠١٤م. انظر الشكل رقم ٩.

ويختلف سطح المياه في البحيرات على مدار السنة، فهي تبدأ في الارتفاع في نهاية شهر ديسمبر وتستمر في الزيادة والارتفاع حتى أوائل شهر مارس، حيث تبدأ في الانخفاض التدريجي وتصل إلى أقصى انخفاض لها في أشهر الصيف حيث الحرارة والبخر شديدان والأمطار نادرة، ومن ثم تأخذ كثير من البحيرات في الجفاف[١].

ويوضح لنا أندرياسي أن مياه البحيرات تحتوي على أملاح،تختلف في أجزاء من نفس البحيرة الواحدة،مما يدل على عدم وجود اتصال بين مياهها. وهذه الأملاح هي على الدوام موريات الصودا، وكربونات الصودا، وقليل من سلفات الصوداء، وتغلب كربونات الصوداء في بعض هذه البحيرات، بينما تغلب موريات الصودا في البحيرات الأخرى. ويبدو – تبعًا للحالة الفيزيقية للأرض – أن كربونات الصودا قد جاءت إلى هذه البحيرات عن طريق مياه الأمطار، وهذا ما يُفسِّر لنا لماذا يكون الملح الموجود في جزء من البحيرة يختلف عنه في جزء آخر منها. ومياه بحيرة الحمراء رقم (٤) وجزء من مياه البحيرة رقم (٣) ذات لون أحمر يشبه لون الدم، ويعود هذا إلى أمر مادة نباتية – حيوانية، وعندما تتبخر هذه المياه يحتفظ الملح البحري – وهو الذي يتبلور أولًا – بهذا اللون الأحمر ويكتسب رائحة الورد الجميلة[٢].

ويري المسيو برتوليه أن تكون الصودا، يعود إلى تحليل الملح البحري بفعل كربونات الجير الموجودة في الأرض الرطبة، التي يتم فيها هذا التحليل ، ووجود الرطوبة أمر ضروري لحد كبير لتحليل الملح البحري، وقد رأينا أن هذا أمر متوفر. أما الحجر الجيري فإنه موجود بكميات كبيرة فيما بين النيل والبحيرات، وكذلك في الوادي حيث يظهر إما في شكل صخور أو في شكل طباشير[٣]، بالإضافة إلى وجود النطرون في هذه البحيرات بكميات كبيرة ويحتل أهمية اقتصادية كبيرة في وادي النطرون[٤].

---

(١) محمود على سيف: المرجع السابق، ص٢٥-٢٦.

(٢) أندريوسي: المرجع السابق، ٤٧-٤٨. انظر الشكل رقم ٣.

(٣) نفسه: ٤٨

(٤) سوف يأتي الحديث بإسهاب عن النطرون وتجارته في الفصل الثالث.

ويقع بحر بلا ماء - كما يصفه أندريوسي Andsiossy بـ «البحر الفارغ»- إلى الغرب من بحيرات النطرون، التي يشتد الطلب على منتجاتها في مجالات صناعية عديدة في فرنسا، ويبلغ اتساع حوض هذا البحر من شاطئ لآخر نحو ثلاثة فراسخ ويمتلئ بالرمال الناعمة، وهو قاحل لا تبدو به أي مصادر للمياه. وقد وجدنا به الكثير من الخشب المتحجر، وعددًا من أجسام أشجار بأكملها يبلغ طول البعض منها ثماني عشرة قدمًا. ولم يكن يبدو أن أجسام الشجر وقطع الخشب التي ظهرت لعيوننا قد مستها يد الإنسان، وكانت غالبيتها قد تحجرت تمامًا، أما أقلُّها فقد بدأ أقل تحجرًا، لذلك كان مغلفًا بطبقة بالغة الكثافة وبالغة الصلابة. أما الجزء الذي يشكل المادة الخشبية «اللباب» فكان متباعدًا في شكل طبقات من الورق. وقد وجدنا كذلك في هذا الحوض سلاسل عظام من السمك الكبير الذي بدأ لنا متحجرًا، وهو ما يضيف احتمالًا جديدًا إلى الاحتمال القائل بأن المياه كانت تجري في هذا الوادي، وأنها كانت تحتوي على حيوانات تعيش فيها [1].

وتحدث الرحالة السابقون عن هذه المنطقة ويقال إن سبب تسمية المنطقة بهذا الاسم كما ذكر الرهبان بوادي النطرون يرجع إلى أن بعض القراصنة أرادوا مهاجمة الأديرة فأخذ الرهبان يصلون ويدعون الله لإنقاذهم، وكانت مياه البحر تصل من قبل إلى الأديرة ولكن الله استجاب لدعوات الرهبان وانحسر الماء نهائيًا من المنطقة وفشل القراصنة في النزول بسفنهم، ولذلك سُميت المنطقة «بحر بلا ماء» لأن المياه كانت تصل إليها قديمًا، وتلك رواية كوبان التي ذكرها في القرن السابع عشر، وقد أكدها أيضًا كثير من رحالة القرن الثامن عشر خاصة جرانجية[2].

وقد اختلف الرحالة في مسألة وصول مياه النيل إلى هذه المنطقة فأكد أوليفيه أن مياه النيل لم تصل إلى منطقة بحر بلا ماء، ولكن ربما وصلت مياه البحر المتوسط وهو ما يفسر «وجود عظام الأسماك والأصداف»، وأكد خطأ فكرة سافاري والأب سيكار بشأن وصول مياه النيل إلى المنطقة؛ وذلك لأن «تربة المنطقة لا تشبه تربة مصر فلا يوجد بها سوى الرمال والصخور»[3].

---

(١) أندريوسي: المرجع السابق، ص ٥٥-٦٠.

(٢) إلهام محمد علي ذهني: المرجع السابق، ص٢٣٥-٢٣٦.

(٣) نفسه: ص ٢٣٦.

مساحة وادي النطرون

اختلف المؤرخون والجغرافيون في تحديد مساحة الوادي فقال البعض: إن مساحته تقدر بنحو ٢٠٧ أفدنة، ودلَّل على ذلك بأن الضرائب المحصلة على الأرض المستقلة بلغت قيمتها٢٠٠ دينار[١]. وقال آخر إن مساحته ١٢٠ ألف فدان[٢] بينما يذكر البعض أن مساحته ٣٠٠كم٢ أي ١٥٠٠ فدان تقريبًا[٣].

مناخ وادي النطرون

أما مناخ وادي النطرون فيمكن اعتباره انتقاليًّا بين مناخ حوض البحر المتوسط ومناخ الصحراء[٤]، وتسقط الأمطار بكميات قليلة خلال فصل الشتاء وتعتبر موردًا مائيًّا يسهم في ري أراضي الزراعة بالوادي[٥].إضافة إلى المياه الجوفية التي تختزن في جوف الأرض في منطقة ما ثم تنصرف نتيجة لانحدار طبقات الأرض إلى منطقة أخرى تكون أقل في مستواها عن منطقة التخزين[٦]. وقد أكد أندريوسي أن الرياح الغربية ساهمت في نقل الرمال الناعمة من فوق الهضاب إلى الوادي، وأشار إلى أن الظروف الجغرافية والمناخية تركت آثارها على الحياة البشرية والحيوانية والنباتية [٧].

وقد جعل الموقع الجغرافي من وادي النطرون قلعة طبيعية أغرت الغزاة، كما جعلته منطقة صراع عبر التاريخ بسبب موقعه الاستراتيجي على مفرق الطرق التجارية العابرة ما بين الشرق

---

(١) أبن دقماق: الانتصار لواسطة عقد الأمصار، ج٥، مطبعة بولاق، القاهرة ١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م، ص١١٣.

(2) Philip E. La Moreaux, Reconnaissance Report and Recommendations for Ground-Water Invest - gations, Wadi el Natrun, Western Desert of Egypt (Cairo: Ministry of Reclamation. The General Desert Development Organization.Desert Institute, 1962): 2,

(٣)عبد اللطيف واكد: المرجع السابق، ص ٤٢٢.

(4) Butcher, E. L: The story of the church of Egypt, 2 vols, London, 1897, p.p.77-78.

(٥)محمود علي سيف: المرجع السابق، ص ١٣٥.

(٦)نفسه: ص١١٥.

(٧) أندريوسي: المرجع السابق، ص ٥٥-٦٠.

والغرب وما بين شماله وجنوبه[١]. فكان حصنًا دفاعيًّا استراتيجيًّا منذ القدم لصد هجوم الليبيين على غرب الدلتا، ومثال ذلك ما قام به ملوك الأسرة الأولى لصد الغزاة[٢] وأسر نحو ١٠٠ ألف أسير وعدد كبير من رعاياهم، كذلك أرسل الملك سنوسرت الأول ابنه لعقاب وتأديب الليبيين المغيرين على الحدود الغربية نتيجة انتهاكهم وسلبهم غرب الدلتا لاحتياج قبائلهم البدو والرحل إلى الأراضي الزراعية[٣]، وكانت نهايتهم على يد رمسيس الثالث عام ١١٧٠ق.م[٤]. فاشتبك مع الغزاة في موقعة حربية وساقهم أمامه في هزيمة منكرة، حتى ألقى بهم خلف حدود مصر الحالية، وقد دون ذلك على جدران قصره في مدينة أبو- طبية[٥]. وكذلك ما قام به السنوسيون في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين من الإغارة على السكان وسرقة مواشيهم ومالهم والاعتداء على أرضهم نهبًا وسلبًا[٦].

مسميات وادي النطرون

وأكد الرحالة والمؤرخون ما وجدناه في الوثائق والمخطوطات بشأن المسميات التي ترددت حول اسم وادي النطرون، حيث أطلق عليه عدة أسماء. فقد أطلق المصريون القدماء عليه اسم سخت- حمات أو سكة همام وتعني حقل الملح وذلك لتوفر ملح النطرون فيه[٧]

---

(١) علي مبارك: المرجع السابق، ص ٤٨-٥٦. انظر الشكل رقم ١ ،٢ .

(2) A. Fakhry, Recent Explorations in the Oases of the Western Desert (Cairo: Press of the French Institute for Oriental: Archaeology, 1942): 210

(3) Ibid., P. 209

(٤) عمر طوسون: المرجع السابق، ص ٦.

(٥) صموئيل تاوضروس السرياني: الأديرة المصرية العامرة، المطبعة التجارية الحديثة، ط١، القاهرة ١٩٦٨، ص٦٩؛ عمر طوسون، المرجع السابق، ص٦.

(٦) وثائق دير السريان: وثيقة بدون رقم، د.ت، مخطوط رقم ٢٨٦، ٢٩٠، ميامر، بمكتبة دير السريان، مرتيروس السرياني، القديس العظيم الأنبا يوحنا القصير الشهير أبو يحنس، شركة النعام للطباعة، القاهرة ١٩٩٥م، ص١٢٠.

(٧) Fakhry, A: op .cit .p2 10 أنطونيوس الدويري، تاريخ دير السيدة العذراء برموس، ط١، القاهرة؛ سن ١٦٧٦ ش/ ١٩٦٠م، ص١٦-١٧.

ويؤخذ ذلك من النقوش التي توجد على جدران معبد إدفو[١]، وأطلق عليه اسم حقل البلح لوفرة أشجار النخيل المنتشرة بالوادي آنذاك[٢]، وذكر أيضًا أن تلك البيداء التي يقع فيها وادي النطرون قديمًا عرفت باسم «انتت- حسمن» أى منبع النطرون[٣] وأيضًا باسم «بثت- بت» وتعني بحيرة السماء وقد ذكر هذا الاسم في فنون الأهرام كمكان لإنتاج البخور، ويحتمل أن يكون ذلك الاسم الديني لوادي النطرون في مصر القديمة[٤].

وفي العصر اليوناني- الروماني أطلق على الوادي «سكيتيس» وتعني مكان النسك وقد اشتق من هذا الاسم كلمةScetis وتُنطق بالعربية أسقيط[٥] واسم سياتس الذي كان يطلق على مدينة تقع في وسط الوادي وتسكنها بعض الجماعات[٦] وعرف أيضًا باسم صحراء سيتى[٧] وهو المكان الذي يقع غرب الدلتا وتستخرج منه مادة النطرون[٨].

ويقول استرابون الذي زار مصر في القرن الأول الميلادي إن هذا الوادي كان يسمى على أيامه بإقليم النطرون، وكان الناس يستخرجون من منابعه مقادير من ملح البارود، وإن سيرابيس إله مصر في عهدي البطالمة والرومان كان يعبد من ساكنيه، كما كانت الشاة دون غيرها تقدم قربانًا إلى الإله[٩].

---

(١) نيفين عبد الجواد: أديرة وادي النطرون -دراسة أثرية وسياحية، مكتبة عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الطبعة الأولى، القاهرة ٢٠٠٤م، ص ٢٤.

(٢)عبد اللطيف واكد: المرجع السابق، ص ٤٢٣.

(3) Henri Gouthier, Dictionnaire des noms Geographiques contenus dans les textes Hieroglyphiques, SRGE, le Caire 1980, p .89

(4) Fakhry., A. :o p. cit .p .211

(5) Jean-François Champollion, L'Égypte sous les Pharaons, vol. 2 (Paris, 1817): 295–302.

(٦) هيوج. ج. إيفلين هوايت: تاريخ الرهبنة القبطية في الصحراء الغربية، مع دراسة للمعالم الأثرية المعمارية لأديرة وادي النطرون منذ القرن الرابع الميلادي إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر، ج١، ترجمة بولا البراموسي، الناشر أبناء الأنبا موسى الأسود، ط١، دير البراموس سنة ١٩٨٩، ص٤٢.

(٧) نفسه.

(٨) إبراهيم نصحي: تاريخ مصر في عهد البطالمة، ج٣، ط٥، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة١٩٨١، ص٢٧٧.

(٩) صموئيل تاوضروس السريانى: المرجع السابق، ص٦٩.

ولقد روى أحد المؤلفين، أن بطلميوس - أحد علماء الجغرافيا في القرن الثاني الميلادي-، ذكر منطقة من ليبيا المصرية باسم سيتياكا ريجيو Scythiaca-Rogio وعين موقعها جنوب بحيرة مريوط، وتنطبق هذه التسمية-على وجه الخصوص- على المكان الذي تقع فيه بحيرات النطرون، أما الصحارى المحيطة به من جميع الاتجاهات فتُكوِّن وادي النطرون[١].

وفي العصر القبطي حتى العصر العربي أطلق على وادي النطرون اسم البهلس[٢] و«برية شهات» أو (شيهيت) ويتكون من مقطعين، الأول ويعني يزن والثاني ويعنى القلوب ومعناها ميزان القلوب أي المكان الذي يزين الله فيه قلوب ساكنيه ليعرف مقدار محبة كل واحد منهم له[٣] وعرف باسم وادي الملوك نسبة إلى الأميرين مكسيموس ودوماديوسMaximus & Domatius ابني الملك فالنتيانوس الذي صار إمبراطورًا لروما سنة ٣٦٤م وعشقا الرهبنة في وادي النطرون [٤] واستمر إطلاق هذا الاسم عليه خلال القرن التاسع عشر[٥].

وفي العصر العربي أطلق على وادي النطرون اسم وادي هابيب وهذه الكلمة قبطية تتكون من مقطعين: ها بمعني كثير، وبيب بمعنى مغارة ، أي وادي المغائر الكثيرة ، وهي التي كان يسكنها الآباء الرهبان[٦]. وليس صحيحًا نسب هذه التسمية إلى هبيب بن حزام بن عفان الغفاري ، وهو أحد عرب فزارة، ومن الذين شهدوا فتح مكة، ولقد هاجر إلى مصر، واستقر بالوادي في أثناء الفتنة التي نشبت ضد عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين، ٢٣-

---

(1) Champollion, L'Égypte sous les Pharaons, 290–296.

(٢)البهلس: كلمة قبطية تعني مستنقعات النطرون، انظر مرتيروس السرياني، المرجع السابق، ص١٠٢.

(٣) دير السريان: وثيقة رقم ٦٣٢، بتاريخ ٤ ذي القعدة١٢٩١هـ/ ١٤ديسمبر١٨٧٤م؛ متى المسكين، الرهبنة في عصر القديس الأنبا مقار، ط٢، وادي النطرون، ١٩٨٤، ص ٢٠٩.

(٤) إيسوذورس، الأنبا: الخريدة النفسية في تاريخ الكنيسة، مكتبة المحبة، القاهرة ٢٠٠٢، ص٢٢٩.

(٥) دير السريان: وثيقة رقم٧٠٧، أواخر جماد الآخر ١٢٣٦هـ/ ٦ إبريل ١٨٢٠م؛ محكمة البحيرة الشرعية، سجل١٦٥، مادة ٧٧، بتاريخ ٧صفر ١٢٩٧هـ/ ٦ يناير١٨٨٠م، ص ١١٣، ١١٤.

(٦) مرتيروس السرياني: المرجع السابق، ص ١٠٢.

٣٥هـ/ ٦٤٣- ٦٥٥م[١] وقد حرف اسم هبيب إلى هبيت نظرًا لتداوله بين المؤرخين والعامة[٢] ومن الجدير بالذكر أن أحد الأساقفة أطلق عليه اسم الزنابق[٣] وفي هذا إشارة إلى أن رهبانه الأتقياء تفوح منهم رائحة المسيح الذكية وهم يزينون الوادي القفر، كما تزين الزنابق الحقول الخضراء[٤].

وفي العصور الحديثة أطلق على الوادي اسم وادي النطرون نظرًا لاستخراج مادة النطرون من بحيراته، وكانت تسمى باسم الأطرون، ومن ثم فقد سمي الوادي بوادي الأطرون[٥] كما عرف الوادي باسم وادي الطرانة وهي ولاية تقع على فرع رشيد، كان ينتقل إليها النطرون من الوادي، وهي التي ارتبطت مع الوادي بنشاط تجاري زاهر[٦] وكان من الصعب على بعض مؤرخي الغرب، وعلى كثير من المحدثين منهم، التمييز بين جبل نتريا [٧] ووادي النطرون فخلطوا بين الاثنين بل اعتبروا أن المكانين واحد، وهناك من الأدلة ما يثبت أن جبل نتريا ووادي النطرون مكانان مختلفان تفصلهما مسافات شاسعة، فجبل نتريا يستخرج من جواره

---

(١) تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبدالقادر بن محمد المقريزي) ت ٨٤٥(هـ: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف (الخطط المقريزية)، مج١ ، مكتبة الثقافة الدينية، بيروت (د.ت)، ص١٨٦؛ عبد المسيح المسعودي البرموسى، تحفة السائلين في ذكر أديرة رهبان المصريين، ط٢، الناشر دير السيدة العذراء برموس، وادي النطرون سنة ١٩٩٩م، ص ٤٨.

(٢) شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي (ت٦٢٦ هـ): معجم البلدان، مج ٨، ط١، تحقيق محمد أمين الخانجي، القاهرة ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٦م، ص ٣٧٧، ابن الجيعان، التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية، طبعة بولاق، القاهرة ١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م، ص ١٣٦.

(٣) أيسوذورس: المرجع السابق، ص ٢٤٢.

(٤) أنطونيوس الدويرى: المرجع السابق، ص١٨.

(٥) دير السريان: وثيقة رقم ١٢٧٤، بتاريخ ١٥ صفر١٠٥٢هـ/ ١٥مايو١٦٤٢م.

(٦)محكمة جامع الحاكم: سجل ٥٧٣، مادة ١٢٧٥، بتاريخ ١٢ ربيع الأول ١١٢١هـ/ ٢٢مايو١٧٠٩م، ص ٤٩٠؛ مخطوط دير السريان، رقم ٣٧١ طلبات، نسخ غبريال بن جورجيوس سنة ١٤٥٢ ش/ ١٧٣٦م؛ لمزيد من التفصيل انظر ملحق رقم (١).

(٧)جبل نتريا أو جبل البرنوج: هما اسمان لجبل واحد يقع على حافة الصحراء الغربية محاذيًا للدلتا، لمزيد من التفصيل انظر إيفلين هوايت، المرجع السابق، ج١، ص ٤٩. انظر الشكل رقم ٧.

مادة النتروم أو النتر، ويقع إلى جوار قرية البرنوجي[١] التي تقع في الدلتا قرب حوش عيسى من أعمال مديرية البحيرة، وتبتعد عن الإسكندرية بنحو ٤٠ كم على منحنى زاوية الشمال الشرقي من الصحراء الغربية حتى جنوب دمنهور، وبناءً على ذلك يستبعد هذا الاسم من أسماء وادي النطرون[٢]، وهذا ما أكدته المخطوطات والوثائق في ضوء أقوال الرحالة أمثال سيكار وأندرياسي وإيفيلين هوايت وأدن وكثيرين غيرهم.

ويتضح لنا من التسميات السابقة أن بعضها كان يطلق على سبيل التعميم على كل منطقة الوادي مثل برية شهيت أو شيهيات، وتعني ميزان القلوب أو الأسقيط أو وادي الملوك أو وادي النطرون، بينما كان بعضها الآخر يطلق على جزء محدود من الوادي، ثم يعمم ذلك الاسم على كل الوادي.

أهمية وادي النطرون

أما أهمية الوادي فيرجع تاريخه إلى عهد الفراعنة، فقد كان قسمًا إداريًّا من أقسام البلاد[٣] أضف إلى ذلك مكانته الدينية فهناك العديد من الاكتشافات التي تدل على أن الوادي مقدس حتى عام ٢٠٠٠ ق.م، ومن هذه الاكتشافات تماثل نصفي bust من الجرانيت الأسود يرجع للأسرة السابعة عشرة الفرعونية وهناك أيضًا بوابة من الجرانيت وأحجار من عتب باب تحمل خراطيش للملك أمنمحات الأول في مكان يسمى كورة الضهر[٤].

وكان للوادي أهمية اقتصادية من قديم فقد استغل قدماء المصريين مادة النطرون في تحنيط الموتى والتي عجز عن معرفة أسرارها أطباء العالم الحديث، كما كانوا يستخدمونها في عمل

---

(١) قرية البرنوجي: قرية قديمة، اسمها الأصلي برنوج، وردت في قوانين ابن مماتي وفي تحفة الإرشاد من أعمال حوف رمسيس وفي التحفة من أعمال البحيرة، وفي الانتصار محرفة باسم برنوج وفي تاريخ سنة ١٢٢٨هـ باسمها الحالي، انظر محمد رمزي، المرجع السابق، ق٢، ج٢، ص٢٨٢.

(٢) محمود علي سيف: المرجع السابق، ص ٩-١٢.

(٣) عمر طوسون: المرجع السابق، ص ٦.

(٤) نفين عبد الجواد: المرجع السابق، ص ٢٧.

الزجاج وتبييض الكتان[١]. واستفادوا من الملح ونبات الحلفا والبوص الذي يدخل في صناعة الحصر وهي الأثاث الرئيسي في دور العبادة[٢].

كما زادت أهميته منذ العصر الفرعوني كمحطة لطرق النقل والتجارة حيث كانت تمر عبره القوافل المحملة بالمنتجات كافة من الواحات البحرية والفرافرة وسيوة إلى دلتا النيل، وبعضها كان يقطع الوادي من الجنوب إلى الشمال حتى ساحل البحر المتوسط[٣].

وفي العصر اليوناني والروماني زادت أهمية وادي النطرون، لزيادة الصناعات وتعددها اعتمادًا على مادة النطرون [٤]، التي دخلت في صنع البخور، والطب، والطهي وعمل الألوان، كما أنها دخلت في التجارة الدولية عبر البحر المتوسط [٥]، وحرصت الحكومة الرومانية على إقامة قرية بيامون وتزويدها بالجنود المكلفين بحراسة هذه المنطقة من البربر المغيرين على عمال مناجم النطرون[٦].

ومع بداية العصر القبطي نال الوادي أهمية خاصة بعد ميلاد السيد المسيح، وذكر متى الإنجيلي أن يوسف هرب بالطفل وأمه[٧]، من وجه هيرودس إلى أرض مصر[٨]. فمرت

---

(١) صموئيل تاوضروس السرياني: المرجع السابق، ص ٧١. انظر ملحق رقم ٨ ،٩.

(٢) نفسه: ص ٧٢.

(٣) محمود علي سيف: المرجع السابق، ص ٢٨،٢٧.

(٤) إبراهيم نصحي: المرجع السابق، ص ٢٧٧.

(٥) ج. بتلر: فتح العرب لمصر، ترجمة محمد فريد أبو حديد، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٣٣، ص ٩٦.

(6) E. Amélineau, La géographie de l'Égypte à l'époque copte (Paris, 1890): 319

حكيم أمين عبد السيد: الجماعات الرهبانية في وادي النطرون في القرن الرابع الميلادي، رسالة ماجستير، كلية الآداب، قسم تاريخ، جامعة القاهرة، ١٩٥٥، ص٣٢.

(٧) يقول الكتاب المقدس: «إذا ملاك الرب قد ظهر ليوسف في حلم قائلًا : قم وخذ الصبي وأمه واهرب إلى مصر وكن هناك حتى أقول لك» لمزيد من التفصيل عن رحلة العائلة المقدسة لمصر، انظر: الكتاب المقدس، إنجيل متى، إصحاح٢، أية١٤.

(٨) مجلة الكرازة: الهروب المقدس، العددان ٦،٥، السنة٢٦، بتاريخ ٢٢طوبة ١٧١٤ش، ٣٠ يناير١٩٩٨م، ص ١٢.

العائلة المقدسة في أثناء رحلتها على مسطرد ووصلت إلى بلبيس ثم سمنود ومنها إلى سخا وعبروا النيل متجهين نحو الغرب حتى وصلت برية شيهيت بوادي النطرون[١] فاستطاعت رؤية صحراء الأسقيط من مدينة الطرانة الواقعة على فرع رشيد والتي تبعد أربعين كيلومترًا عن الأديرة الحالية[٢].

وعندما حلت العائلة المقدسة بوادي النطرون حسب ما ورد في ميمر الأنبا «زخرياس»[٣] أسقف سخا، امتدت يد الطفل الأزلية وهو في حضن أمه العذراء مريم فبارك السيد المسيح جهات وادي النطرون الأربع علي هيئة صليب وذكر لأمه قائلًا: «إن هذا الجبل سيكون به جملة كنائس وأديرة يعمرها الرهبان وكل من يود أن يخدم الرب ويكون فيه أناس يرضونني، ويأتي إليه الناس من كل مكان ليتباركوا منه، حيث لا أدع وحوشًا تسكنه البتة بل يكون مباركًا ومحلًّا لقدسي إلي دهر الدهورين ويسمي ميزان القلوب أي برية شيهيت «[٤].

ووصف لنا ميمر الأنبا زخرياس ما تعرضت له العائلة المقدسة في وادي النطرون حيث اعترض لصان طريقها في أثناء عبورها لمنطقة وادي النطرون، وسلبا كل ما يمتلكانه، ولم يبقيا

---

(١) مجلة الكرازة: العائلة المقدسة في مصر، العددان ٥،٦، السنة ٢٩، بتاريخ ٢ أمشير١٧١٧ش، ٩ فبراير٢٠٠١م، ص ١٨. انظر شكل رقم ٩.

(2) Otto, Melnordus. F. A: The Holy Family in Egypt, Cairo 1986.P.34.

(٣) الأنبا زخرياس أو زكريا: وُلد زكريا لأسرة غنية، وكان والده يوحنا يعمل كاتبًا في الإدارة البيزنطية، وقد ترك وظيفته وصار كاهنًا. وقد عمل زكريا نفسه ككاتب، ثم ترك وظيفته وصار راهبًا في دير يوحنا القصير(كولوبس)، في عهد الراهبين الكبيرين آبرام وجرجي. وقد اختار البطريرك الأنبا سيمن الأول (٦٨٩-٧٠١م) الراهب زكريا أسقفًا لمدينة سخا في الدلتا. وقد أدار الأنبا زكريا الأبريشية لقرابة ثلاثين عامًا، وتوفي بين سنة ٧٢٣ وسنة ٧٣٠. وتعيد الكنيسة القبطية الأرثوذكسية له يوم ٢١ أمشير/ ١٥ فبراير، طبقًا للتقويم الجريجوري، و٢٨ فبراير طبقًا للتقويم اليولياني. وقد ترك لنا العديد من الميامر ، والتي كان من بينها الميمر الثالث بتاريخ ٢٤ بشنس ويتناول رحلة العائلة المقدس لأرمن مصر. انظر: وديع الفرنسيسكانيّ، بحث بعنوان «ميامر رحلة العائلة المقدّسة، الطبعات والمخطوطات»، منشور ضمن كتاب «أسبوع القبطيّات التاسع، ملفّ خاصّ عن هروب العائلة المقدّسة إلى أرض مصر، ١٩٩٩م/ ١٧١٦ش، كنيسة العذراء بروض الفرج، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٩٥.

(٤) لمزيد من التفصيل عن مسيرة العائلة المقدسة لوادي النطرون انظر: شكل رقم ٩.

إلا ما هو ضروري لسترة الحياة. لكن أحدهما قد رقَّ لحال العائلة، وقال لرفيقه: «أما كنت تري وجه الصبي نورانيًّا وعليه صورة الملائكة ..!! إنهم فيما يبدو غرباء»، وكان هذا اللص هو اللص اليمين الذي صلب مع السيد المسيح علي الصليب، حيث إنه أرجع كل ما اغتصبه هو وزميله وقد طلبت السيدة العذراء من ابنها ليعطيه توبة عن أفعاله وقد كان علي عود الصليب حيث صرخ إلي الرب قائلًا: «ذكِّرني يا رب متي جئت في ملكوتك»، فكان من أوائل الداخلين إلى فردوس النعيم بعد أن قال له يسوع: «اليوم تكون معي في الفردوس»[١].

وفي العصور القبطية الأولى سكن النساك والرهبان الوادي فاكتسبت المنطقة شهرتها من سيل الرهبان الذين استوطنوها واتخذوها مقرًّا لنسكهم وعبادتهم[٢] حيث بدأ القديس فرنتون الحياة الرهبانية هناك في منتصف القرن الثاني الميلادي، وكان أول من فكر في عيشة العزلة بالصحراء الغربية[٣] كذلك اشتهر الراهب أمون المصري (٢٧٥-٣٢٠م) الذي يعتبر المؤسس الأول لأديرة نيرتا[٤] ومع أوائل القرن الرابع بدأت تنتشر الجماعات الرهبانية على يد القس مكاريوس الإسكندري[٥] كما شهد الوادي على مقربة من صحراء شيهيت أو الأسقيط مذبحة التسعة والأربعين شهيدًا الذين ذبحهم البربر ودفنت أجسادهم[٦].

ومع بداية دخول العرب مصر(٢١هـ / ٦٤١م) سمع رهبان الوادي عن أمة جديدة قد ملكت البلاد سار منهم إلى عمرو بن العاص سبعون ألفًا راهبًا[٧]، وطلبوا منه أن يمنحهم

---

(١) المتحف القبطيّ: مخطوطة الأنبا زخرياس أسقف سخا ميمر رحلة العائلة المقدَّسة لمصر، تاريخ ٤٧٧ (نسخ ١٦٨٦-١٦٨٧)؛ دير السريان، ميامر السيدة العذراء، مراجعة وتقديم نيافة الأنبا متاؤس، مكتبة دير السريان، وادي النطرون، ١٧٢٢ش/ ٢٠٠٥ م، ص ٣٣-٣٤.

(٢) حكيم أمين عبد السيد: المرجع السابق، ص ٣٠-٣١.

(٣) مجلة الكرازة: رهبان العزلة، العددان ٣،٤، السنة ٢٣، ١٢طوبة ش/ ٢٠ يناير١٩٩٥، ص ١٩.

(٤) أنطونيوس الدويري: المرجع السابق، ص٢١-٢٢. انظر شكل رقم٧.

(٥) نفسه.

(٦) حكيم أمين عبد السيد: المرجع السابق، ص ٣٢.

(٧) أظنُّ أن هذا الرقم مبالغ فيه.

حُريتهم الدينية ويأمر برجوع بطريركهم من المنفي، فأجاب طلبهم وأمر بعودة البابا بنيامين[١]، وقدمت القبائل العربية إلى مصر، وانتشرت مع بدء قدومها في صحراء مصر[٢]، فتركز بعضها بالوادي وخاصة عرب فزاره الذين عملوا بحرفتي الرعي والتجارة[٣].

ومع بدء حكم الفاطميين لمصر سنة (٣٦٣-٥٦٧هـ/ ٩٧٣م-١١٧١م) ظهر فيها الرخاء الاقتصادي والزراعي وزادت الاستفادة من موقع الوادي الاستراتيجي كمصدر لإنتاج النطرون وتجاراته، وكمراعي طبيعية لتربية الأغنام والماعز والإبل [٤] بينما استفاد الأيوبيون والمماليك(٥٦٧-٩٢٣هـ/ ١١٧١-١٥١٧م) من رمال الوادي الناعمة التي تدخل في صناعة الزجاج [٥]، كما ساند عربان الوادي طومان باى في صراعه ضد العثمانيين[٦].

وفي العصر العثماني (١٥١٧-١٧٩٨م) زادت أهمية الوادي بعد أن جعل العثمانيون من مدينة الطرانة ولاية ضمن ولايات مصر[٧] وأصبحت من أكبر مقاطعات النطرون[٨]، حتى إن

---

(١) ثيؤدور هوك باترك: تاريخ الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، ترجمة ميخائيل مكسى، مكتبة المحبة، القاهرة ٢٠٠٥، ص٥٣.

(٢) عبد الله خورشيد البرى: القبائل العربية في مصر في القرون الثلاثة الأولى من الهجرة، دار الكتاب العربي، القاهرة ١٩٦٧م، ص ٥٢.

(٣) حكيم أمين عبد السيد: المرجع السابق، ص٣٣.

(٤) ثيؤدور هوك باترك: المرجع السابق، ص٧١.

(٥) سعيد عبد الفتاح عاشور: الأيوبيون والمماليك في مصر والشام، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٩٨، ص١٧١، ٣١٢

(٦) إيمان محمد عبد المنعم عامر: العربان ودورهم في المجتمع المصري في النصف الأول من القرن التاسع عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٧م، ص١٩.

(٧) محكمة جامع المحاكم الشرعية: سجل ٥٧٣، مادة ١٢٧٥، بتاريخ ١٢ ربيع الأول ١١٢١هـ/ ٢٢ مايو ١٧٠٩، ص٤٩٠؛ مخطوط دير السريان، رقم٣٧١، طلبات، نسخ غبريال بن جورجيوس، سنة١٤٥٢ ش/ ١٧٣٦م، لمزيد من التفصيل انظر: ملحق رقم(١).

(٨) محسن على شومان: المقاطعات الحضرية في مصر في العصر العثماني، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، سنة ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص ١٦٣-١٦٤.

إنتاجها من النطرون في عام ١٦٧٢م بلغ أربعة وعشرين ألف قنطار ولأهمية الوادي في إنتاج هذه المادة لعائدها المادي الكبير اتخذها السلطان العثماني في عام ١٧٣٠م ملكًا له[١] وفي فترة الحملة الفرنسية على مصر (١٧٩٨-١٨٠١م) شهد الوادي اهتمامًا من جانب علمائها، فقد أشار أندريوسي Andsiossy أثناء زيارته لهذه المنطقة في يناير سنة ١٧٩٩م إلى أهمية بحيرات النطرون[٢] وأعطى وصفًا طبيعيًّا وجغرافيًّا، وتحدث عن الأديرة القبطية، وأهم قبائل العربات التي سكنت هذا الوادي[٣].

ومجمل القول، أنه تتضح أهمية وادي النطرون، لتوسطه بين مدينتي القاهرة والإسكندرية، وقُربه من الدلتا، وتعدُّد وسائل النقل والمواصلات للوصول إليه، كما أنه لعب دورًا في العصر الفرعوني من الناحية الدينية والاستراتيجية حيث كان مدخلًا لغزاة مصر من الصحراء الغربية، وفي العصر اليوناني والروماني لعب دورًا اقتصاديًّا وعسكريًّا، ومكانًا مقدسًا في العصر القبطي بزيارة العائلة المقدسة، وتعدد الأديرة القبطية، أما في العصر العربي فشهد توافُد القبائل العربية إليه وتوطنها بها، بينما أصبح في العصر العثماني من أكبر المقاطعات، وفي عصر الحملة الفرنسية (١٧٩٨-١٨٠١م) لقي اهتمامًا خاصًّا بين أقاليم مصر الجغرافية. وحاليًا تعد منطقة الوادي من بين أشهر المناطق الرهبانية في مصر والعالم، وأيضًا من أكثر المناطق الجاذبة للسياحة الداخلية والخارجية.

(١) عمر طوسون: المرجع السابق، ص١٥-١٦.

(٢) تأليف علماء الحملة الفرنسية: المرجع السابق، ج٢، ص٤٩-٥٠.

(٣) نفسه: ص٦٣-٧٧.